

التاريخ الثقافي والديني للجزائر من خلال مخطوط "القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبها بالمغربين الأقصى والأوسط" للمستشرق الفرنسي جورج دلفان Georges Delphin

- عبد الكريم حمو
- المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران - الجزائر

تاريخ الإرسال : 2018-07-17 تاريخ القبول: 2018-09-30 تاريخ النشر: 2019-05-29

الملخص: أحاول في هذا الورقة العلمية أن أبرز الجانب الثقافي والديني للجزائر وأهم العلوم والمعارف المتداولة خلال فترة الوجود العثماني وما بعده تقريبا (1700م - 1900م)، وذلك من خلال مخطوط نادر تحصلت عليه من المكتبة الوطنية الحامة (الجزائر) باسم "القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبها بالمغربين الأقصى والأوسط" لمؤلفه المستشرق الفرنسي جورج دلفان، وذلك خلال إقامته بوهران (1340هـ - 1922م) وتوليه تدريس اللغة العربية ودراسته اللهجات العامية قصد تسهيلها لبني جنسه، وله وأبحاث عديدة حول الاسلام وتاريخ الجزائر الديني...

الكلمات المفتاحية: التاريخ، الثقافة، الجزائر، المستشرقون، المخطوط

The Cultural and Religious History of Algeria in the French Orientalist Georges Delphin's manuscript "Al-Qawl al-ahwat fi bayani ma tadawala mina al-olum wa kutubiha bi al-maghribayn al-aqsa wa al-awsat"

Abstract: In this paper, I try to highlight the cultural and religious aspects of Algeria and the most important sciences and knowledge that were widespread during the Ottoman era and beyond (1700-1900). The work is based on a rare manuscript obtained from the National Library El-Hama (Algeria) titled "Al-Qawl al-ahwat fi bayani ma tadawala mina al-olum wa kutubiha bi al-maghribayn al-aqsa wa al-awsat" by the French Orientalist Georges Delphin. The manuscript is the fruit of his stay in Oran (1340 AH – AD 1922); he taught Arabic and studied dialects for the purpose of facilitating them to the French people. Delphin has many researches on Islam and the history of religion in Algeria.

Keywords: history, culture, Algeria, orientalists, manuscript.

تقديم:

هذا المخطوط هو عبارة عن معلمة (ببليوغرافيا) للكتب الشرعية المتداولة في الغرب الاسلامي، ويستعرض مسيرة الأعلام والفقهاء والأعيان بذكر تاريخهم وسيرهم الذاتية والعلمية دون أن يغفل علماء الجزائر وفقهائهم، ويقع المخطوط في (142 ورقة) يحاول مؤلفه أن يعرفنا بالتاريخ الديني والفكري للجزائر من خلال المتوفر من المصادر والمصنفات التي كانت محل دراسة وقراءة ونقاش في الفضاء المغربي عامة. والتي تتصل بالمنجز العربي والاسلامي منذ ظهور الاسلام إلى وقته. وقد قُسم المخطوط إلى أبواب أهمها: (علم التفسير والقراءات القرآنية ومباحث الحديث الشريف وعلم أصول الفقه وعلوم اللغة العربية (النحو والتصريف...) وقضايا البلاغة العربية المتمثلة في (البيان والمعاني والبديع) والمنطق والعروض والحساب وعلم التنجيم والكلام ومباحث التصوف والتاريخ والجغرافية والطب و القضاء والأحكام... واعتمد المؤلف على منهجية بسيطة سار بها في كامل المخطوط، بحيث يعرض اسم العلم أو المبحث المراد بحثه من الجانب اللغوي والاصلاحي، ثم يبرز مكانته وفائدته ومنزلته العلمية، ثم يشرع في سرد أقوال العلماء والمصنفات التي تناولت هذا البحث باستقصاء تام وموجز يعتمد على الاحاطة والشمولية.

1- عناية المسترقين بالتراث العربي والاسلامي:

أولت المدرسة الاستشراقية عناية بالغة بجمع التراث العربي والاسلامي وتحقيقه - قديمه وحديثه، وعكف المستشرقون بكُلِّ ما أُوتوا من وسائل مادية ومعنوية على دراسة علوم العرب وبوجه أخص العلوم الشرعية، إذ هي المفتاح الأساس لفهم نمط المسلمين وأحوالهم؛ وأن أي بحث يكون منطلقه الأساس فهم اللسان اللغوي، وذلك للتعلم والولوج في حضارة العرب، كما قاموا بترجمة عدد لا بأس به من الكتب العربية إلى اللغات المختلفة، ونبغ منهم علماء أمناء قاموا بنشر نفائس جليّة من التراث العربي. ولولا عنايتهم بإحياء آثارنا، لما انتهت إلينا تلك الدُرر الثمينة التي أخذناها من طبقات الصحابة، وطبقات الحفاظ، ومُعجم البلدان، ومُعجم الأدباء، ومُعجم ما أُستعجم، وفتوح البلدان، وفيهرست ابن النديم، ومفاتيح العلوم، وطبقات الأطباء، وأخبار الحكماء، والمقدسي الاضطخري، وابن حوقل، والهمداني، وشيخ الربوة، وابن جبير، وابن بطوطة إلى عشرات من الكتب الجغرافية، والرحلات التي فتحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي، ووقفنا على درجة حضارتنا، ولولا إحيائهم تاريخ ابن جبير وابن الأثير وأبي الفداء واليعقوبي

والدينوري والمسعودي وأبى شامة وابن الطقطقى، وحمزة الأصفهاني وأمثالهم لجهلنا تاريخنا الصحيح في عماية من أمرنا⁽¹⁾.

فعناية المستشرقين بالتراث العربي الإسلامي، سمحت لنا باكتشاف مصادر جديدة تعرفنا عليها من مخطوطات وتقييدات وموسوعات كانت قيد النسيان، كما تعرف العرب والمسلمون على مناهج بحث في العلوم الانسانية والاجتماعية من خلال الترجمات اللسانية واللهجية والتحقيقات الاجتماعية والأنثروبولوجيا.. ولهذا الشأن يقول إدوارد سعيد: "كان المستشرقون لعقود قد تحدثوا عن الشرق وترجموا النصوص، وفسروا الحضارات والأديان والسلالات والثقافات والعقليات... وكان المستشرق خبيراً مثل ساسي ورينان ووظيفته في المجتمع أن يفسر الشرق ويُترجمه لأبناء قومه؛ وكانت العلاقة بين المستشرق والشرق بصورة أساسية تأويلية، فإذا وقف المستشرق والباحث أمام حضارة أو منجزة ثقافية نائية لا تكاد تفهم، قلّص الإيهام عن طريق الترجمة، والتصوير المتعاطف... بيد أن المستشرق بقي خارج الشرق الذي بقي نائياً عن الغرب"². فلا يختلف إثنان من اعتبار أن المستشرقين قدموا رصيذا علميا ومعرفيا لا نظير له في كل المستويات الانسانية والتقنية.

ونجد في - الجزائر - دراسات كثيرة ومتنوعة قام بها المستشرقون الفرنسيون، فقد اشتغل المستشرق "وليام مارسيه" على تأليف معجم للغة العربية في شمال غرب إفريقيا بعنوان "نصوص عربية تكرونية"، وألف "مارسولين بوسيه" معجما طبع بالجزائر سنة 1871م باسم "معجم علمي فرنسي عربي"، ووضع مسكريه "MasQueray" عدة دراسات اجتماعية لقبائل البربر من بينها معجما عن لهجة الطوارق، وكتب كل من "بيريه" و"بوسكيه" دراسة عن عادات الجزائريين ومؤسستهم ومعتقداتهم. فخلال العشر سنوات الأولى من الاحتلال ظهر كتاب عسكريون أمثال كاريت وبيليسي وهانوتو وديلامار وغيرهم، وقد شارك هؤلاء في اللجنة الإفريقية 1837، وهكذا كتب كاريت عن القبائل الجزائرية، وعن العلاقات الاقتصادية، وكتب "بيلسي ديرونو" كتابه (أخبار الجزائر)، وكتب "هانوتو" عن لهجات ونظم الجزائريين ... وترجم "دي سلان" تاريخ ابن خلدون وجغرافية البكري وغيرهما، واختص الضابط "بروسلار" بالخط العربي، وقام "فورنيل" بكتابة تاريخ شمال في العصور الوسطى، أما "لاكروا" فقد نشر دراسات عن الاستعمار والإدارة الرومانية في افريقية.. وأيضا "بيرروجر" الذي ملأ المجلة الإفريقية عن أخبار الجزائر⁽³⁾.

وأبدى المستشرقون الفرنسيون اهتماماً بالغاً باللهجات العربية البربرية: إذ وضعوا قواميس عربية (دارجة- فرنسية) و(بربرية - فرنسية)، واشتركوا مع بعض الجزائريين أمثال ابن سديرة وسعيد بوليفة ومحمد ابن شنب... في ترجمة وتحقيق ونشر مؤلفات علمية موجهة للعسكريين الفرنسيين وللأغلبية الفرنسية، كما أولى "ريني باسي" اهتمامه بالدراسات اللغوية واللهجات المحلية، وكرس "دوتي" جهده في الأبحاث الاجتماعية والأنثروبولوجيا، واهتم "جورج إيفير" بتاريخ الاحتلال الفرنسي بالجزائر، وتخصص "ستيفان عزال" في تاريخ شمال إفريقيا القديم، وعالج "مارسيل إيميريت" الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للأهالي خلال الفترة الفرنسية، وتناول "ياكونو" قضايا الاستعمار والمكاتب العربية.. وقام "باصه" بفهرسة مجموعة من المخطوطات في الجزائر، والمغرب الأقصى ودرس أسماء النباتات في اللهجة الشاوية واشتغل أيضاً بدراسة مكان ونبات وخضروات ومأكولات الأهالي لمعرفة أصول هذه الأسماء والتي تنتسب كما يقول- باصه- إلى الفترة الرومانية ومن هذا المنظور تبرم العلاقات بين أصول البربر مع الجنس الروماني⁽⁴⁾.

ومن هنا يتوجب علينا أن نُعيد قراءة ما كُتب وقيل عنا بمنهج علمي موضوعي يستجيب لكل المقاربات العلمية. ومن هؤلاء المستشرقين الفرنسيين الذين بذلوا جهداً في دراسة اللغة العربية وتعلمها وتعليمها نجد "جورج دلفان" فمن هو إذًا؟ وما مهامه العلمية والوظيفية؟ وما المنهج الذي اعتمده في الدراسة والتحقيق والبحث؟

2- تعريف صاحب المخطوط :

هو المستشرق الفرنسي جورج دلفان Georges Delphin المتوفى بالجزائر في شهر نيسان (1340هـ - 1922م)، انتدبته الحكومة الفرنسية لإدارة مدرسة الجزائر وكلف بالتدريس في مدارسها، ثم عُين مديراً للمدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة، وأستاذًا للغة العربية بوهران، عني بدراسة اللهجات العامية، وألف عدّة كتب مدرسية لتسهيل دراسة العربية، وله أبحاث عن الإسلام اليومي في الجزائر. له كتاب "تاريخ الباشاوات العثمانيين في الجزائر- من سنة 921هـ إلى 1158هـ"، باللغة الفرنسية، وبالعربية: المقامات العلوية في اللهجة المراكشية، ونشر كتاب "جامع اللطائف وكنز الخرائف" بالمطبعة الكاثوليكية سنة 1891 بباريس، صنفه لتعليم اللغة العربية للعوام⁵، وله النزهة الوهرانية في اقتطاف زهرها في الأجرومية، وهو حاشية على شرح زين الدين جبريل على المقدمة الأجرومية⁽⁶⁾. وله "كتاب القول الأحوط في بيان ما تداول

من العلوم وكتبها بالمغربين الأقصى والأوسط⁽⁷⁾، كما أسهم في ترقية بعض المسلمين أدبيا وأكتسب ثقتهم⁽⁸⁾، بالإضافة إلى بحوثه الاجتماعية واللاهوتية التي قام بها بمدينة وهران أيام توليه بالتدريس بها.

3- صورة عامة عن المخطوط موضوع الدراسة:

من خلال عنوان المخطوط الموسوم بـ "كتاب القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبه بالمغربين الأقصى والأوسط" ندرك أن هذا التأليف يدور حول موسوعة العلوم والمؤلفات المتداولة في المغرب (المغرب الأقصى والجزائر)، فهي موسوعة تشمل النتاج المعرفي والمنجز العلمي في منطقة جغرافية محددة، وهذا لا يعني أنه أغفل بلاد الأندلس أو حواضر البلاد العربية الأخرى (المشرق)، فالحركة العلمية لبلاد المسلمين لا تعرف الحدود، منذ انتشار الإسلام وإلى يوم الناس هذا والنشاط العلمي والرحلات الحجية والعلمية مستمرة⁽⁹⁾، والاعتناء بتحصيل العلوم المختلفة متواصل خاصة ما تعلق بالعلوم الدينية والفقهية..

وقد تحصلت على هذا المخطوط من المكتبة الوطنية الجزائرية، وهو مهدي من قبل حفيده الأستاذ جورج دلفان القاطنة بفرنسا، وهو مجلد ضم عدة كرايس أوراقها بالية نسبيا، يتناوب تصفيف الأوراق فيها بين أوراق تحوي مربعات تشبه أوراق السجلات الإدارية، وأخرى بيضاء مصقولة بمعدل ورقتين بمربعات مقابل ورقة بيضاء، مع ملاحظة وجود تباين في الطول بين النوعين من الورق، حيث الأوراق البيضاء أقصر من النوع الآخر.

وما يلاحظ على المخطوط أنه لم يرشدنا عن صاحب المؤلف أو ناسخه، كما أنه لا يشتمل على مقدمة شارحة لدوافع الكتابة وسبب التأليف، أو إشارة تدلنا من قريب أو من بعيد عن صاحب المخطوط، كل ما هنالك ثبت لعنوان المخطوط والشروع مباشرة في تعريف العلوم المتداولة وأقسامها.. والأمر نفسه يتكرر في خاتمة الكتاب حيث لا ذكر لاسم المؤلف أو الناسخ أو مكان النسخ، والسنة.

4- تعريف الشارح للمخطوط:

هو الفقيه النبيه أبو المكارم الوجيه المتأبط العلامة الفهامة السيد محمد الحرشاوي الندرومي (1241-1313 هـ) (1826-1895 م)، من مشاهير علماء ندرومة تلقى العلم عن شيوخ بلده والفرع تابع للأصل، وقد توجه إلى مدينة العلوم وقتها "مازونة"، وقرأ على خيرة شيوخها وفقهائها منهم شيخ الجماعة بها أحمد بن هني حفيد الشيخ أبي الطالب، مختصر

الشيخ خليل في الفقه المالكي وأجازه به، وبمجمّل ما رواه عنه من مسائل فقهية، وكان قد درس من قبل على يد الشيخ العباس بن رحال النندرومي، كتاب ابن عاشر الفاسي الموسوم بـ "المرشد المعين في الضروري من علوم الدين" ثم ارتحل إلى مدينة فاس وحضر نواحيها العلمية مدة يسيرة، بحيث انخرط في سلك التعليم في القرويين⁽¹⁰⁾، لكن الله فتح عليه فحصل على رصيد علمي معرفي مقبول بتوفيق من الله وأقبال نفس محتاجة إلى نور العلم. وإذا نور الله له سريره وفتح عليه فتوح العارفين العاملين، فهو عالم من الطراز الأول وشارح للمتون الحديث والفقه والنحو، والمخطوط الذي بين أيدينا هو من قام بشرح بعض المصطلحات، وإضافة بعض التقييدات والتعليقات في الحواشي، سواء بتصحيح أسماء بعض بالعلماء أو زيادة ما يلزم من الفنون العلمية. من تصانيفه: المواهب المعطية في ذكر أجوبة المسائل الفقهية المنشأة عن الأسئلة المرضية؛ وحلّة التسديد فيما به الخروج من رتبة التقليد، وغيرها من المصنفات النافعة. وتوفي الشيخ رحمه الله في السابع والعشرين من رجب سنة 1313 هـ الموافق لـ 24 يناير 1896م، ودفن بالعباد يحوط به سور مربع الشكل بتلمسان⁽¹¹⁾.

وعند تصفحنا للمخطوط محل الدراسة اكتشفنا أن الأستاذ جورج دلفان خط مخطوطة على وجه واحد من الورقة من المجلد، تاركا الوجهة المقابل من الورقة لتعليقات الشيخ محمد الحرشاوي وإضافته⁽¹²⁾، وكلما وجبت الإضافة على سبيل الفائدة وضع علامة اكس (x) في المتن ويعلق عليها في الحاشية، وإذا احتاج إلى تعريف أكثر لشخصية عالمة أو فرع من فروع العلم يقيم بكتابتها بما يوافق منهج دلفان في الكتابة، وهذا يعني أن الشيخ الحرشاوي كان ملماً بعلوم كثيرة وكانت لديه خزانة علمية متوفرة على مصنفات العلوم الشرعية والكلامية والإنسانية، وكان في نهاية كل إضافة يوقع عليها ويقول عبارة "الله الموفق" أو "الله يوفق عبده" أو "الله المستعان"...

فالبينة التي تحدث عنها دلفان تؤكد أن كانت هناك حركة علمية وسجال ثقافي بين العلماء والفقهاء، فكانت المساجد والزوايا ودور العلم حاضناً لجميع الفنون العلمية والشرعية، يقول الحرشاوي في تعليقه في باب التصوف: "ومما يُقرأ ويُدرس بفاس المحروسة بركة الإمام البوصيري والهمزية في مدح النبي عليه السلام.. وكذا كتاب الشفاء للقاضي عياض.. وكذا دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار للإمام سيدي محمد بن

سليمان الجزولي.. كما يدرس علم الفرائض مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإنها من دينكم، إلى أن قال: وهي نصف العلم"⁽¹³⁾.

والشاهد من هذه الرسالة أن الشيخ محمد الحرشاوي قد أتم مراجعة وتصويب ما قدم له من كرايس من قبل السيد جورج دلفان، وفي هذه الرسالة المذكورة في هامش (صفحة 05) فيها نوع من الاعتذار، لأنه لم يستطع اتمام تقييداته وشروحه لظروف الأسرة والأهل، والظروف العامة التي يعيشها هناك، ومن جهة أخرى هي تقرير للحال التي وصل إليها العلماء، وتصدر بعضهم لمنابر الافتاء والتدريس بدون معرفة وكفاية علمية.

5- منهجية جورج دلفان في الكتابة والتأليف:

حاول المؤلف أن يجتهد قدر الاجتهاد في التعريف بالشخصيات العالمة والمشهورة التي صَنَّفَتْ وكتبت في مجال علم الشريعة والأدب والتصوف الرياضيات والفلك والحساب... كما عمل أيضا على إبراز الكتب والمدونات العلمية التي شرحت هذه العلوم ملتصقا حدها وموضعها وواضعها واسمها واستمدادها وحكمها وتصوره مسائلها وخصائصها ونسبها وفائدتها. ويحرص دلفان على كتابة العلوم بالشكل الموضوعي وبالدقة والأمانة العلمية، فليس كل شخص مهم أن يسرد تاريخ العلوم أو تراث الأمم ولهذا يرى أن "لكل خائض في فن أن يتكلم عليها ما يناسب الفن المشروع فيه"⁽¹⁴⁾. ولهذا نراه يقسم العلوم إلى:

1- القسم الأول تناول فيه شرح علم التفسير فقال: "التفسير لغة هو التبيين واصطلاحا هو بيان معاني القرآن بما هو مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين واستخراج أحكامه وحكمه"⁽¹⁵⁾، ثم يشرع في تقديم أول من قام بالتفسير بحيث قال: "واختلف في أول تفسير وضع... قال الشاطبي... هو تفسير ابن عباس... صاحبه مجاهد وعطاء، وقال الحافظ أبو راس الناصري"⁽¹⁶⁾ في تفسيره المسمى الابريز والاكسير، أول من صنف في التفسير الامام مالك جعله بالإسناد على طريق الموطأ"⁽¹⁷⁾، ثم يشرع المؤلف في سرد الأصول الأولى لعلم التفسير ابتداء من تفسير ابن عباس ويقدم سلسلة من المفسرين عاصروه وأخذوا العلم منه. فيقول: "فمن كتب التفسير تفسير ابن عباس.. صاحبه مجاهد وعطاء، أما مجاهد فلم أقف على تاريخ وفاته، وأما عطاء فهو عطاء ابن رباح، وكان من الراسخين في العلم ولازم الإفادة والفتيا مدة ثمانين سنة، وكان أسود أعرج أبطش أشل"⁽¹⁸⁾، فالعلم ليس بالحمال ولا بالمال وإنما هو نور يضعه الله في صدر من يشاء من عباده. توفي سنة خمس عشرة ومائة، وتوفي عبد الله بن عباس

بن عبد المطلب سنة ثمان وستين بالطائف.. ويعرف ابن عباس بالفقيه والجبر⁽¹⁹⁾. ثم يقوم بترتيب المفسرين القدماء اتباعا حسب أسبقيتهم مركزا على تاريخ وفياتهم. مثل: "تفسير البلخي"⁽²⁰⁾، ومنه تفسير الامام مالك بن أنس ومنه⁽²¹⁾، ومنه تفسير القزويني⁽²²⁾، ومن تفسير الطبري⁽²³⁾ ومنه تفسير الزجاج⁽²⁴⁾ ومنه تفسير الثعلبي⁽²⁵⁾ ومنه تفسير الأندلسي⁽²⁶⁾ ومنه الواحدي⁽²⁷⁾ ومنه تفسير البغوي⁽²⁸⁾ ومنه تفسير الزمخشري ومنه تفسير ابن عطية ومنه تفسير الرازي، ومنه تفسير الخطيب الشربيني، ومنه تفسير ابن عربي، ومنه تفسير البيضاوي ومنه تفسير الخازن...⁽²⁹⁾.

والملاحظ من هذا المبحث المطول أن المؤلف - كما ذكرنا - اتبع سرده وفق ما انتهى إليه من معلومات في مجال "التفسير"، وقد يغفل عن بعض الكتب المفسرة لكثرة المفسرين وتنوع مشاربهم ومذاهبهم، وفي كثير من الأحيان يُعرف الكتاب المفسر باسم صاحبه ولا يذكر عنوان الكتاب إلا قليلا، ويلتزم بذكر ما شاع من اسم المؤلف أو المكان الجغرافي الذي ينتمي إليه المفسر أو الذي مات فيه. وكان كلما أراد أن يتحدث عن مدونة علمية أو مصدر من المصادر يقول هذا العلم بابه واسع وكتبه كثيرة وفوائده عظيمة... مثل حديثه عن علم المنطق فيقول: "إيساغوجي: وهي اسم لكتاب وهو لفظ يوناني ومعناه الكليات الخمس: الجنس والنوع والفصل والعرض والعام والعرض الخاص... وقد شرحه بهاء الدين الأبهري... والشارح الشيخ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري الشافعي"⁽³⁰⁾، وهو الكتاب المسمى بـ "المطلع شرح إيساغوجي لزكريا الأنصاري". وقال في باب التصوف: بأن "محمد بن إبراهيم المعروف بعباد النفزي الرندي شارح الحكم للإمام المحقق أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسى بن عطاء الله السكندري..."⁽³¹⁾، وشرح أيضا على الحكم المذكورة المحقق شيخ الاسلام الشيخ عبد الله الشرفاوي⁽³²⁾، وأن كتاب ابن عاشر الفاسي الموسوم بالمرشد المعين في الضروري من علوم الدين "فسره ابن عاشر نفسه في منظومته بقوله: في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك" وهذا الكتاب هو مبعث الدراسة الأولية في التوحيد والفقه والتصوف لا في الجزائر فحسب بل في كل أقطار المغرب الإسلامي ذات المذهب المالكي... ويستمر المؤلف في سرد الكتب في فن من الفنون حتى يصل الى جهود المغاربة في التأليف فيقول في مبحث التفسير ومنهم: تفسير الثعالبي بالجزائر المسمى بالجواهر الحسان"⁽³³⁾... ومنه تفسير أبي راس الناصري المعسكري "الابريز والاكسير في علم التفسير"⁽³⁴⁾...

ومنه تفسير الباهلي⁽³⁵⁾... وفي العلم الثاني الذي اختصه المؤلف هو: "علم قراءة القرآن" يقف على الكتب التي تناولت هذا المبحث ذاكرة جهود المغاربة في ذلك، ومنهم صاحب الدرر اللوامع لابن بري الرباطي التازي (المغرب)⁽³⁶⁾، ومنه الشاطبية⁽³⁷⁾.. ومنها التلمساني⁽³⁸⁾.

2- يقوم المؤلف بتقديم سير ذاتية عن العلماء والصلحاء الذين ذاع صيتهم في البلاد المغربية والأندلس ومنهم باختصار:

أ- سيدي أحمد بن يوسف الملياني الذي يقول فيه: "اعلم أن هذا الشيخ أصله من جبل راشد وله مناقب كثيرة وفضائل.. وكان تلميذ الشيخ العارف العالم سيدي أحمد الشريف الشهير برزوق ومات في عاشر من رمضان عام 930هـ"⁽³⁹⁾.

ب- الشيخ سيدي أحمد البرنوصي الشهير برزوق، "كان من العارفين الواصلين المفتوح عليهم طاف مشارق الأرض ومغاربها في طلب الحق واستعمل جميع الأسباب المذكورة في معالجة النفس وقد عاصر الشيخ السنوسي"⁽⁴⁰⁾.

ت- الشيخ أبو بكر محمد الزهري المعروف بابن محرز البلنسي الفقيه المحدث العالم المتفنن اللغوي التاريخي استوطن بجاية له تقييد على التلقين وتقارير كثيرة في فنون⁽⁴¹⁾.

ث- التعريف بالحرالي الصوفي رحمه الله: هو أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي، ولد بمراكش.. لقي الحرالي جملة من العلماء شرقا وغربا، إذ دخل الأندلس وأخذ عن ابن خروف وأبي الحسن ابن القطان وابن الكتاني الفندلاوي، وحج فأخذ عن أبي عبد الله محمد بن عمر القرطبي (ت 631هـ) إمام الحرم الشريف، قوانين فهم القرآن، ثم دخل مصر فسكن ببليس، ثم سكن طرابلس الغرب، وانتهى به المطاف بمدينة حماة السورية.. وكان الحرالي مشاركا في علوم كثيرة منها المنطق والفلسفة والرياضيات.. وضع كتابه مفتاح اللب المقفل لفهم القرآن المنزل⁽⁴²⁾.

ج- الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي نسبة إلى بني سنوس قبيلة معروفة بالمغرب بقرب تلمسان، وبعضهم يقول نسبة إلى سنوسة بلدته التي نشأ بها الحسن فهو من اتباع الحسن بن علي بن أبي طالب⁽⁴³⁾.

وقد أخذ المؤلف "رحمه الله" على عاتقه منهجا موحدا في كتابة وفاة العلماء والمحدثين وأهل العلم، وقد لمسنا هذا المنهج في وفيات ابن قنفذ حيث ذكر في مقدمة الوفيات "ومما حافظ عليه أهل الحديث كثيراً تاريخ وفيات الصحابة والمحدثين خوفاً من المدلسين، ولذلك قال

بعضهم: إذا اهتمت أحداً في أخذ أو في رواية فاحسبوا سنه وسنة وفاة من ذكر فبذلك يتبين هل أدركه أم لا⁽⁴⁴⁾.

6-المواضيع العلمية التي حواها المخطوط:

يعرض المخطوط أسماء العلوم ومؤلفاتها التي تداولت بالأندلس والمغرب الأقصى (المغرب) والأوسط (الجزائر)، وقد تم إحصاء حوالي عشرين (20) فنا من العلوم الشائعة والمنتشرة في تلك الفترة وهي على النحو التالي:

1-علم التفسير، 2- علم قراءة القرآن، 3- علم الحديث الشريف، 4- علم الأصول، 5- علم الفقه،

6-علم النحو، 7-علم العلوم الثلاثة وهي البيان والمعاني والبدیع، 8-علم المنطق،

9-علم العروض، 10-علم الحساب، 11-علم التنجيم، 12-علم الكلام، 13- علم التصوف،

14- علم اللغة، 15- علم التصريف، 16-علم التاريخ والجغرافيا، 17- علم الطب،

18- علم القضاء والأحكام، 19- علم الجدول، 20-علم الأدب.

في الفقه وأصوله:

-الامام الشاطبي، الموافقات

- مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، لمحمد بن عبد الرحمان الحطاب

- رسالة ابن أبي زيد القيرواني

- مختصر الشيخ خليل في فقه الامام مالك

في التفسير:

-تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

- تفسير جار الله الزمخشري المسمى "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"

- تفسير بن جرير الطبري المسمى "جامع البيان عن تأويل آي القرآن أو جامع البيان في تأويل القرآن"

- تفسير عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر المسمى "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"

- تفسير بوراس الناصري المسمى "الابريز والاكسير في علم التفسير"

في المعاجم والموسوعات:

- الوفيات لابن قنفذ القسنطيني
- سير أعلام النبلاء للذهبي
- وفيات الأعيان لأن خلكان
- التّرجمان المُعْرِئُ عند ولا المُشْرِقِ والمُغْرِبِ لأبي القاسم الزّياتي

في الحديث:

- موطأ الامام مالك رضي الله عنه
- شرح مختصر خليل للخرشي
- هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك، لعز الدين بن جماعة
- شرح مختصر الشيخ خليل في الفروع. للشيخ عبد الباقي الزرقاني

في علوم العربية

- متن ألفية ابن مالك وشروحه لابن هشام الانصاري أو شرح الأشموني وابن عقيل واللميعي. العربية لابن جني
- المفصل في العربية للزمخشري.
- 7- صورة المؤلف:

الظاهر من خلال المخطوط الذي بين أيدينا أنّ المؤلف له دراية كبيرة بعلوم العربية وعلمائها القدماء، كما له اطلاع واسع بالمنجز العلمي في مجال التأليف، ونستشف خبرة لا بأس بها بالرصيد اللغوي والبلاغي والفقه في كتابة هذا العمل الموسوعي المهم، ولا ندري هل كان يكتب مباشرة موظفا خبرته ومعارفه السابقة؟ أم كان يتخير من الكتب والمصادر العلمية أهم الملاحظات والتوجيهات العلمية التي تفيد بحثه موضوع الدراسة؟ لأنه عندما يأتي في تعريف شخصية ما مثل تعريفه لكتاب "حاشية الجمل والصاوي على الجلالين" يقول: "أما الجمل فهو لأبو الحسن العلامة النفاذة... مع أنني لم أقف على تاريخ وفاته وبعض أخباره، وأما الصاوي فإنني لم أقف على اسمه وتاريخه وأخباره.." ⁽⁴⁵⁾، ومرات يذكر معلومة حول مؤلف ما وبعدها مباشرة يقول لا أعلم مؤلفه ولا تاريخه ⁽⁴⁶⁾، ومن هنا نكتشف أنه لم يرقم هو بالتدوين، وهذا ما يرجح امكانية تكليف أحد طلبته أو أصدقائه في كتابة ما يميله عليه..!

كما كان يقتصر الإيجاز في التعريف بالمصادر التي تناولت علم من العلوم مثلما حديثه في تصنيف كتب الفقه قال: «الباجية» ولم يذكر اسم الكتاب أو المصنف وبدأ بتعريف الفقيه أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي⁽⁴⁷⁾، وله مصنفات في مسائل الفقه والمذاهب الفقهية⁽⁴⁸⁾، وفي موضع آخر يذكر مصنف «الموسوية»⁽⁴⁹⁾ نسبة إلى السيد محمد بن الحسين بن موسى الملقب بالشريف الرضي المعروف بكتاب "نهج البلاغة"، وفي موضع آخر يقول «الواضحة»⁽⁵⁰⁾، وهو يقصد الكتاب المشهور في السنن والفقه لأبي مروان عبد الملك بن حبيب المرداسي السلمي⁽⁵¹⁾... ومن هذه الأمثلة كثير "الغافقية" والغرناطية و"البكرية".

والجدير بالذكر في طريقة الكتابة الافتتاحية أو الصيغ التقليدية المتداولة في التعريف بالمؤلفين أو بالمصنفات العلمية، فإنه يتبع أسلوبا شائعا في الكتابات التراثية، بحيث يقوم "دلفان" بأسلوب التعظيم والتشريف مثل قوله في تأليف الزياني. يقول: "هو التأليف الجليل الذي وضع في الراية الشيخ الفقيه الامام النزيه العالم العلامة البحر الفهامة الأوحدهم الامام الاسوة الامام عمدة المحققين وفروة العلماء الراسخين أبو العباس سيد احمد بن ثابت الزياني الشريف نسبا تلميذ ابن توميت"⁽⁵²⁾. وفي موضع آخر يقول: "العالم العلامة البحر الفهامة وحبر دهره وفريد عصره" فهذا النوع من التدبيج منتشر بصورة أكبر في المصنفات التراثية وفي الرسائل الإخوانية، وكثر في الجزائر مع الوجود العثماني (1516م - 1830م) مع تشكل المراسلات العثمانية للسلطين والأمراء وبين الاهالي والدايات.. وخير نموذج لذلك صيغ التحية في مراسلات الأمير عبد القادر الجزائر للباب العالي بإسطنبول أو بين رؤساء العالم آنذاك⁽⁵³⁾.

8- أهمية الكتاب:

يمكن اختصارها في النقاط التالية:

- يمثل المخطوط ذاكرة تاريخية حية تسرد مؤلفات الحضارة الإسلامية في عصورها المختلفة خاصة ما تعلق بجهود المؤلفين المغاربة وإسهاماتهم.
- حاول المؤلف أن يقرب إلى أذهاننا الجهد العلمي الذي قدمه المغاربة في التأليف وفي الحركة العلمية والرحلات الحجية التي جابت كل الأقطار الإسلامية.
- ابراز أنواع العلوم والمدونات العلمية التي تداولت في المنطقتين خاصة العلوم الشرعية واللغوية دون إغفال العلوم العقلية لأخرى كالفلك والطب والحساب.
- سرد لأسماء ومؤلفات مغمورة تحتاج منا التعريف بها واستكشافها.

- التاريخ لبعض الحوادث والبطولات التاريخية مثل حديثه عن تاريخ وهران إبان الغزو الإسباني لها سنة (1118هـ - 1706 م) ⁽⁵⁴⁾.

9- النقد الموجه للمؤلف:

رغم أهمية المخطوط إلا أننا نبدي بعض التحفظات والملاحظات النقدية على سبيل التنبيه ليس إلا ومنها:

1- انعدام التمهيش والإحالات التوثيقية التي ترشد القاري إلى مرجعية النص الأصل أو مراجعة المؤلف فيما يكتب.

2- عدم استيفاء بعض المعلومات المتعلقة بالأعلام أو المصادر العلمية بحجة أن حافظته نست ذلك بعبارات من مثل: «ذهب عن حفظي ترجمته» أو «ذهب عن حفظي التعريف به وتاريخ وفاته بالكلية».. وغيرها من العبارات التي تدل على احتماليين: إما أن يتولى المؤلف الكتابة ويعيد ما كان يحفظه من معلومات وأخبار علمية وهو الراجح، أو كان يكلف أحد طلبته أو أصدقائه بالكتابة وهو يملئ عليه بما جادت به قريحته.

3- ضعف خط الكتابة وفي بعض المرات يتعسر نطقها مما يستشكل علينا إعادة تدوينها.

4- الاكثار من صيغ الافتخار والتعظيم في إيراد سير العلماء.

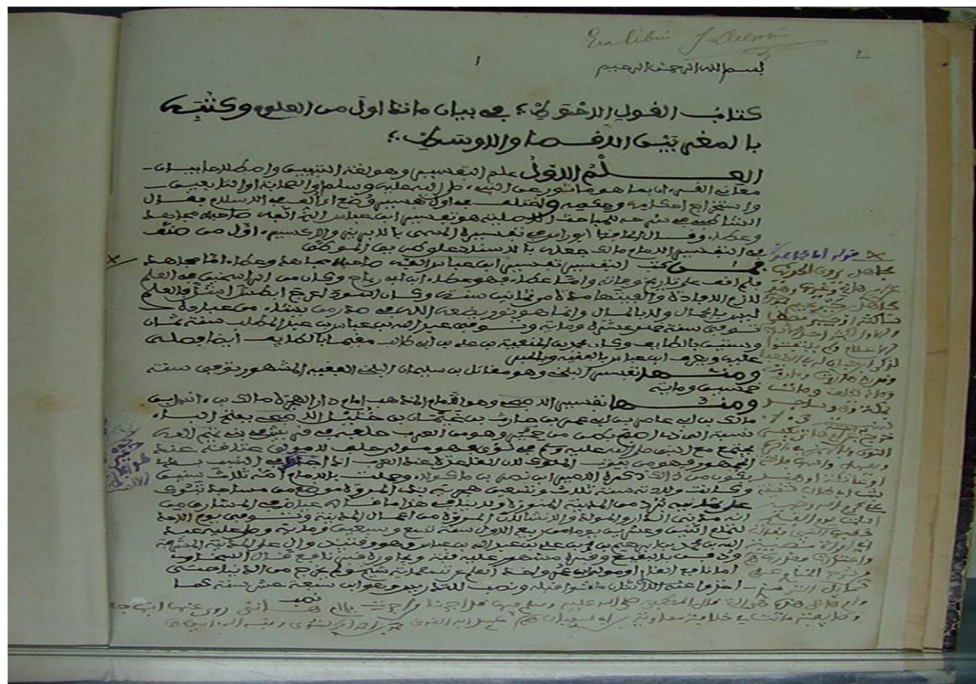
5- عدم التزمه بمنهجية موحدة في إيراد لتاريخ ميلاد العلماء ووفاتهم.

الخاتمة:

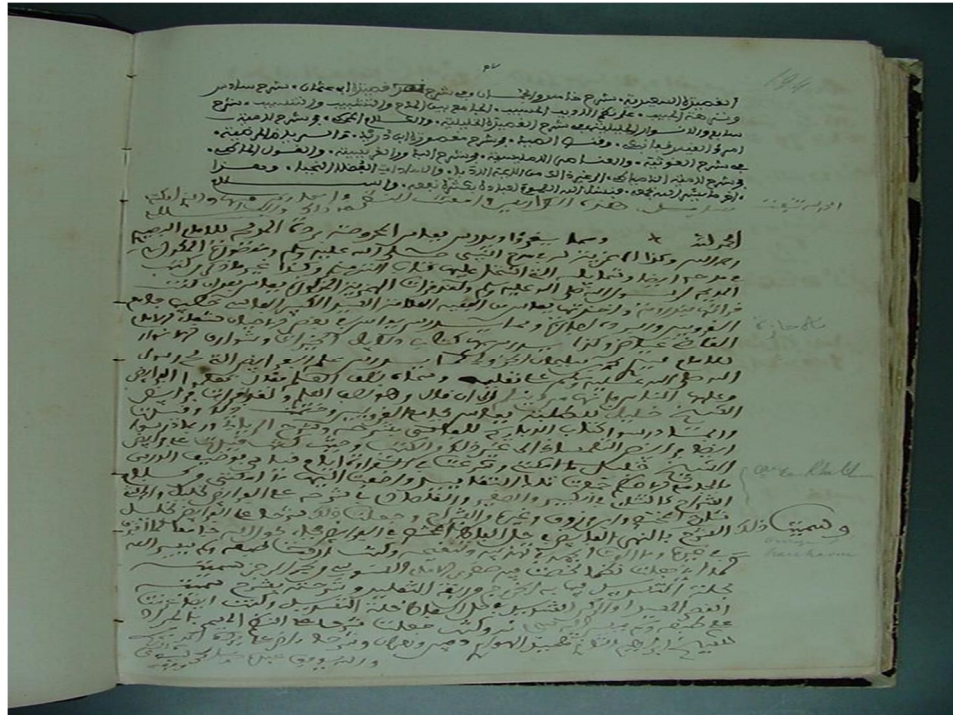
تغذى التاريخ الديني والثقافي للجزائر والمغرب الأقصى بوجود رافدين علميين أساسيين تمثل في الحضارة المشرقية والحضارة الأندلسية، مما زاد هذا التلاقح في تعميق التحصيل العلمي والمعرفي، وظهرت الرحلات الحجية والعلمية بين العلماء .. وتشكلت حلقات العلماء ومجالس الافتاء والقضاء.. وزادت الشروحات والتعليقات الفقهية واللسانية.. وازدهرت حركة الجدل والفلسفة والمناظرات الشفوية والكتابية بين فقهاء الجزائر وفاس أو بين علماء المغاربة وحواضر الأندلس أو علماء الحجاز ومصر... وتطور الفقه المالكي وشروحاته، واتسع التيار الصوفي ورواده.. كما كان للعلوم العقلية نصيب آخر كالتطبيقات والحساب وعلم الفرائض والكيمياء..

وهذا المخطوط يقدم لنا صورة عامة وشاملة عن الحركة العلمية والدينية الذي عاشتها البلاد المغاربة، بحيث انغمس علماءها في الكتابة العلمية والخطابة والتأليف، وكان لهم حظ

وأفر في ازدهار العلوم والتعريف بها، فكانوا هم روادها ومؤسسيها بما امتازوا به من عمق في التحليل وغزارة في التحصيل وتفوق في الحفظ والتقييد، ومن هنا جاءت الحركة الفكرية والنهضة العلمية في حواضر المغرب العربي مكملة للنتاج الثقافي والمعرفي الذي شهده العرب والمسلمون عبر قرون من الزمن.



الورقة الأولى من مخطوط: القول الأحوط "لجورج دلفان



الورقة الأخيرة من مخطوط: القول الأحوط "لجورج دلفان

الاحالات والهوامش:

1. محمد، كرد على، أثر المستعمرين من علماء المشرقيات، 1927، 24/1.
2. سعيد، ادوارد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، ط6، لبنان، دار الأبحاث العربية، 2003، ص231.
3. سعد الله، أبو القاسم، أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، ط1، ص20.
4. MOHAMMADE BEN CHENEB. Revue africaine. Alger. 1908. NUM52.P.257-258.
5. الإعلام، الزركلي، 145/2، وينظر: معجم المطبوعات العربية والعربية، يوسف إيمان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 877/1 - 878.
6. مخطوط بمكتبة الحامة الجزائر.
7. مخطوط بمكتبة الحامة الجزائر.
8. الأب لويس شيخو، تاريخ الأدب العربية، دار المشرق، بيروت، ط3، 1991، 2248/1.
9. لم تنقطع الصلة بالشرق، بل ظلت متواصلة على الدوام بفضل شعبية الحجّ الذي فرضها الله على عباده المسلمين، وبفضل الرحلات العلمية والمبادلات الثقافية والتجارية، وانتشرت المصنفات العلمية والدينية في شمال إفريقيا وجنوبها، ومن أشهر الكتب المنشورة في هذه الفترة على سبيل المثال لا الحصر كتب الإمام المصري جلال الدين السيوطي التي كانت رائجة في الجزائر وعموم إفريقيا، وقد كانت بينه وبين الإمام عبد الكريم المغيلي مراسلات في الفتية وعلم المنطق... بحيث اعتبرت كتب ومصنفات الشيخ عبد الكريم المغيلي من أجود المؤلفات وأحسنها في هذه المرحلة وفي هذه المنطقة بالذات بحيث شكلت طفرة إبداعية لا نظيرة لها. ينظر: محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فوتتانة الشرقية في الجزائر، 1906، 170/1 - 171.
10. تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ص566.
11. نقل هذا التاريخ من الجدارية الموجودة بضريحه بالعباد (تلمسان)، مكتوب بالتاريخ الهجري وحولته إلى التاريخ الميلادي.

12. هذه الرسالة التي بعث بها الشيخ الحرشاي إلى الأستاذ المستشرق الفرنسي جورج دلفان بتاريخ 29 نوفمبر 1889 تدل على أن الحرشاي كان يقوم بكتابة التعليقات والاضافات على المخطوط. بدأها بالحمد لله وحده، الفاضل العلامة المدرس المعلم الفهامة الشيخ السيد دلفان، سلام عليكم كما يليق بعظيم مقامكم، ورحمات وبركات تشمكم. وبعد؛ أيها السيد، فإن الكرايس التي عندي قد فرغت من تتبعها، وما ألتوت جهدا في إصلاحها بقدر ما أمكنني، مع شطر الببال، وكلفة العيال، وقلة السعد والمعين، وحسد التلميذ والقرين، مع هموم تزايدت، وأكدار تواردت، خمدت القرية بها مع صرصر النكبات، وجمدت الفطنة بكثرة النكبات، فإننا والله وأنا إليه راجعون مع ما نشاهده من انعكاس الحال، وظهور الفساد في كل الأحوال بتقديم من آخر الله، وتأخير من قدم الله، فلقد قال الشيخ عياض - رحمه الله تعالى - أن تقديم من آخر الله، وتأخير من قدم الله فتنه في الأرض وفساد كبير، وكيف لا؛ وقد شوهد في المتولين في هذا الوقت وظائف الإمامة والتدريس، الجهل والقصور، حتى أن بعضهم لا يحسن شيئا من المعقول والمنقول، بل هو على الجهل المحض، ويتكالب على التولية، ونرى من فيه الأهلية، وله الأحقية بذلك، لا يصل إلى مطلوب أصلا، أو يسعى الناس في تأخير ليلخلو الجوّ للجّهال، فرحم الله صاحب القسطاس المستقيم..

13. القول الأحوط، لوحة رقم: 97.

14. الغزوة الوهرانية في اقتطاف زهرها في الأجرومية، جورج دلفان، مخطوط لوحة رقم 03.

15. القول الأحوط، لوحة رقم: 01.

16. هو محمد بن أحمد بن الناصر الراشدي ولد عام 1150 هـ / 1737 م بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر، بين جبل كرسوط وهونت؛ تلقى القرآن الكريم على يد والده، ثم أخذ الفقه على يد شيخه عبد القادر المشرفي. تولى القضاء في بعض مناطق غريس (بمعسكر)، ولما ذاع صيته، أقام له البايات كرسيا للتدريس، وبنوا له مكتبة المدرسة المحمدية أو مكتبة المذاهب الأربعة. ومن مؤلفاته نذكر سيرته الذاتية "فتح الإله ومثته في التحذات بفضل ربي ونعمته"، والحاوي لنبيذ من التصوف والأولياء والفتاوي، والإبريز والإكسير في علم التفسير... ينظر: أبو راس الناصري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق: بن عمر حمادو، 2016، ص 20.

17. القول الأحوط، لوحة رقم: 01.

18. وكان أسود أعور أفتس أشل أعرج، ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، تحقيق وتعليق، عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط4، 14/1983.

19. القول الأحوط، لوحة رقم: 01.

20. القول الأحوط، لوحة رقم: 01. وينظر: توفي في حدود الخمسين ومائة وعاش مقاتل بن سليمان المفسر الضعيف بعده أعواما. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء 341/6.

21. القول الأحوط، لوحة رقم: 01.

22. هو الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني.

23. هو الامام الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المعروف بـ: "تاويل آي القرآن أو جامع البيان في تاويل القرآن".

24. هو الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج النحوي صاحب التفسير. ينظر: ابن قنفذ، الوفيات 25/1.

25. هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي صاحب تفسير: الكشف والبيان عن تفسير القرآن.

26. هو أبو محمد مكي بن أبي طالب الاندلسي. له كتاب في اعراب القرآن. القول الأحوط، الورقة رقم 03.

27. هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد ابن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، له تفسيره المعروف بـ: "الوسيط والبسيط والوجيز والحاوي".

28. هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر، صاحب التصانيف، كـ: "شرح السنة" و"معالم التنزيل" و"المصابيح" وكتاب "التهذيب" في المذهب و"الجمع بين الصحيحين"، و"الأربعين حديثا". ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 439/19.

29. القول الأحوط، لوحة رقم: 01.

30. نفسه، اللوحة رقم: 84.

31. ينظر: الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري شرح ابن عباد النفري الرندي، مركز الأهرام للطباعة والنشر، ط 1، القاهرة.
32. القول الأحوط، لوحة رقم: 109.
33. نفسه، لوحة رقم: 06.
34. هذا المخطوط مفقود قيل إنه يشمل سورة الفاتحة وجزء من سورة البقرة. ينظر: القول الأحوط، الورقة رقم 07.
35. هو أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المفسر البجائي من بجاية. ينظر: ابن قنفذ، الوفيات، 50/1.
36. القول الأحوط، لوحة رقم: 10.
37. المتضمنة للقراءات القرآنية السبع، ينظر: القول الأحوط، لوحة رقم: 10.
38. هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن القاسم بن توزين التلمساني مولدا. ينظر القول الأحوط، لوحة رقم: 10.
39. القول الأحوط، لوحة رقم: 84.
40. نفسه، لوحة رقم: 84.
41. نفسه، لوحة رقم: 99.
42. القول الأحوط، رقم: 91.
43. نفسه، رقم: 96.
44. الوفيات، ابن قنفذ، 3/1.
45. القول الأحوط، لوحة رقم: 04.
46. نفسه، لوحة رقم: 12.
47. نفسه، لوحة رقم: 26.
48. ينظر: ابن فرجون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مطبعة المدينة، 1972.
49. القول الأحوط، لوحة رقم: 34.
50. نفسه، لوحة رقم: 33.
51. ابن عذاري، لبيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس المغرب، دار الثقافة، بيروت، 1990.
52. القول الأحوط، لوحة رقم 112.
53. ينظر: عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر وتونس وليبيا، الجزائر، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، تونس، ط 2، 1985.
54. بحيث شارك بعض العلماء في هذه المعارك منهم "أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن القاسم الشهيد التلمساني"، ولقي مصرعه شهيدا في الفتح الأول لوهان سنة 1118هـ مع الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي ودفن بالحاسي الأحرش المسمى بمقبرة الطلبة (الكائنة حاليا ببلدية السانيا). ينظر القول الأحوط، لوحة رقم: 12.